الباب الثالث

تحليل سوبالترن في فيلم "إن شاءالله ولد"

أ. ملخص فيلم "إن شا ءالله ولد"

في هذا الباب، سيتناول الباحث دراسة أشكال التبعية التي تعاني منها الشخصية النسائية الأردنية التي تُوفي زوجها، وكذلك أشكال مقاومتها من أجل الدفاع عن حقوقها بعد وفاته. وقبل الخوض في تحليل أعمق لأشكال السوبالترن التي تواجهها هذه الشخصية النسائية الأردنية، وأشكال مقاومتها في فيلم "إن شاء الله ولد" للمخرج أمجد الرشيد، سيعرض الباحث أولا ملخصا للفيلم، وذلك لتوجيه القارئ وفهم الغرض والهدف من هذا البحث بشكل أوضح.

إن شاء الله ولد هو فيلم دراما اجتماعية من الأردن من إخراج أمجد الرشيد، يصور الواقع المرير الذي تواجهه النساء في ظل نظام قانوني واجتماعي أبوي. تتركز القصة حول نوال، وهي أم شابة تفقد زوجها بشكل مفاجئ. في البداية، كان الحزن على فقدان زوجها هو العبء الأكبر الذي تحمله، لكن سرعان ما واجهت واقع قوانين الإرث التي لا تنصفها. وبسبب عدم إنجابها لولد ذكر، أصبحت حقوقها في المنزل وميراث زوجها الراحل مهددة بالضياع لصالح عائلة المتوفى، وخصوصًا شقيق زوجها، رفقي. هذه الحالة وضعت نوال في موقف هش وعاجز أمام نظام قانوني يعطي الأفضلية في الإرث لسلالة الذكور باعتبارهم الورثة الشرعيين.

شعرت نوال بالظلم والتهديد، فلم تبق ساكنة. بل بذلت جهدا كبيرا في سبيل الحفاظ على البيت الذي كان المأوى الوحيد لها ولابنتها الصغيرة. وفي محاولة للبحث عن ثغرة في النظام، تظاهرت بأنها حامل، على أمل أن يكون الجنين ذكرا، لكي لا تنتقل حقوق الإرث مباشرة إلى شقيق زوجها. ومع مرور الوقت، ازدادت التوترات عندما بدأ رفقي يشك في الأمر وأخذ يضغط عليها لإجراء فحص الحمل. في الوقت نفسه، واجهت نوال ضغوطا اجتماعية

واقتصادية إضافية، شملت مشكلات العمل ووضعها كامرأة بلا زوج. خلال هذه الرحلة الشاقة، اضطرت نوال إلى مواجهة اختيارات صعبة بين الصدق والأمان وكرامتها كأم وكامرأة.

هذا الفيلم ليس مجرد قصة شخصية عن كفاح أرملة، بل هو أيضا انعكاس لنظام قانوني واجتماعي يميز ضد النساء. إن شاء الله ولد يطرح قضايا النوع الاجتماعي والعدالة والحرية من خلال سرد عاطفي وواقعي. ومن خلال شخصية نوال، يُدعى المشاهدون لمشاهدة كيف تُجبر المرأة غالبا على الصمود في ظل نظام يتجاهل حقوقها وصوتها. في صمتها ومقاومتها، تصبح نوال رمزا لقوة المرأة في مواجهة الظلم المؤسسي. يطرح هذا الفيلم بشكل دقيق ولكن حازم تساؤلا مهما: هل ستُمنح المرأة التقدير فقط إذا أنجبت ذكرا؟ وإلى متى سيستمر القانون والثقافة في وضعها في موقع السوبالترن؟

ب. أشكال القمع سوبالترني التي تتعرض لها المرأة المهمشة

في هذا الجزء، توجد ثلاثة أقسام سيتم توضيحها حول الوضع التحتاني الذي تعرّضت له الضحية، وهي كما يلي:

استخدم مصطلح السابألترن في البداية من قبل أنطونيو غرامشي للإشارة إلى الفئات الاجتماعية المهمشة التي لا تمتلك وصولا مباشرا إلى السلطة الهيمنية.[٤٢] غير أن غاياتري تشاكرافورتي سبيفاك طورت هذا المفهوم بشكل أعمق في سياق ما بعد الاستعمار من خلال مقالها الشهير هل يمكن للسابألترن أن تتكلم. وقد بينت أن السابألترن هو جماعة لا تملك صوتا بشكل بنيوي داخل نظام التمثيل المهيمن.[٤٣] أشارت سبيفاك إلى أن سؤال "هل يمكن للسابألترن أن تتكلم؟" ليس سؤالا حرفيا، بل يحمل دلالة إبستمولوجية وسياسية عميقة، إذ يتساءل عما إذا

[٤٢] Antonio Gramsci, *Selections from the Prison Notebooks*, ed. dan terj. Quintin Hoare & Geoffrey Nowell Smith (New York: International Publishers, ١٩٧١), hlm. ٥٢.

[٤٣] Gayatri Chakravorty Spivak, *Can the Subaltern Speak?* dalam *Marxism and the Interpretation of Culture*, ed. Cary Nelson dan Lawrence Grossberg (Urbana: University of Illinois Press, ١٩٨٨), hlm. ٢٧١.

كان من الممكن حقا سماع وفهم صوت الفئات المقهورة داخل نظام الخطاب الذي تهيمن عليه السلطة الاستعمارية والذكورية الهيمنية.

وفقا لسبيفاك فإن السابألترن لا يتعرضون للقمع على الصعيدين السياسي والاقتصادي فحسب بل يختزلون ايضا ضمن نظام المعرفة واللغة إنهم يسكتون بشكل بنيوي ورمزي مما يجعل اصواتهم غالبا غير معترف بها كخطاب مشروع كما تؤكد سبيفاك ان السابألترن حتى عندما يتكلمون فإن النظام الهيمني يميل الى اخضاع تلك الاصوات او تمثيلها بشكل مغلوط مما يؤدي في النهاية الى استمرار تغييبها عن السمع والفهم الحقيقي.

في تصنيف السابألترن لدى غاياتري سبيفاك، تؤكد بشكل خاص على أن موقع المرأة السابألترن يتميز بتعرضها لقمع مزدوج، من البنية الاستعمارية ومن البنية الأبوية المحلية. فالمرأة لا تُسلب صوتها فحسب، بل لا تُعتبر أيضا كذات تمتلك إرادة مستقلة.

١. سوبالترن في نظام القانون الأبوي

سيتم شرح الاسباب الاولية للاحداث الابوية التي عانت منها نوال، وهي كما يلي:

UIN IMAM BONJOL

الصورة ٢. نظرة ذهول

في الدقيقة ٠٥ والثانية ٥٥، تظهر ملامح الدهشة على وجه نوال بسبب غياب زوجها. وكان هذا الحدث هو البداية لظهور الظواهر النسوية في حياتها. ففي الطبقات الاجتماعية في الأردن، تواجه الأرملة صعوبة في الحصول على الحقوق ذاتها التي يتمتع بها المواطنون الأردنيون الآخرون.

بعد ذلك، ستعرض في الصورة التالية واقعة مجيء اسرة زوج نوال اليها للمطالبة بحقوق الميراث العائدة لزوجها، وفيما يلي نص الحوار:

الصورة ٣. ضغط الورثة.

رفقي :كيف كل يوم يا وان؟ إن شاء الله أحسن

نوال: الحمد لله ماشي الحال

رفقي: الحمدلله، إذا بتحتاجي أي شي أنا موجود

نوال: أمي من غلبك ما أنا

رفقي: يسامحك لا غلب ولا إشي ,يعني إذا إحنا ما وقفنا مع بعض في هيك ظروف ,هي اللي إحنا وزي ما قلت لك ,أي شي بتحتاجي إنتي أو نورا ,اعتبريني المسؤول عنه

أحمد: تسلم يا رفقي هاي كلنا عائلتها وإن شاء الله ما حدا بيقسر

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي: الله يرحمك،كنت نفكر نعمل له ختمة أرواحه كل يوم اثنين

نوال: أه، نختمه القرآن كل اثنين مش عارفة شو بدي أعماري ,هيك ويعمود وعلى رأسي فجأة

أحمد: بكوة الله ,الله ما بنسي حدا

نوال:نسيت أسألكم شو تشربوا

أحمد: قهوة

رفقي: دخلك شفت حدا من شغل عدنان أجي على العزاة

أحمد: والله ما بعرف كثير يجينا أرس ما انتبهت

رفقي: أنتو بتعرفوا أنو شغله ما كانوا يدفعوا له آخر أربعة أشهر

نوال: لا مين بيقلك

رفقي: عدنان قال لي لأنه فيه أربعة دفعات ,يلا الله بيسيره

نوال: دفعات شو؟

رفقي: والله ما عارف شو بدي أقولك يعني خجلان منك ,بس بالنسبة للبكم فيه آخر أربعة دفعات عدنان ما دفع لي يوم

نوال: والله ما جب لي سيرتهم

رفقي: والله لو أني مش متطرع على المصاري ما جبت لك سيرتهم بس يعني مخنوق على الآخر وراحي راح تطلع والله عدنان كان معين يدفع لي يوما اليومين

نوال: غريب ما حكالي

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي: يعني معايا الكيميائات اللي بقتش بتتأكدي

نوال: لا مش أصدق بس الشغله ما كانوا يدفعوا له هو ما قال لي هاد الحكاية

رفقي: انتو ما تقبلكوا في هذا الموضوع أنا اليومين بلادي شرع قلبكم منبيحة واخدوا دفعات اللي لا إلي وبعدين منوزع الور

نوال: ما بدي أبيع البيكوب

رفقي: منقص بدل ما تطبق البيكوب دفعاتي

نوال: ما تقلق مدبر حالي

رفقي: بس وانت ليش بديكي البيكوب هون ما تشجعي فيش تسوق عليه يلي بريحك كله علموا بذي ما حصر الارث بس وعدنان شو ترك غير هاي الشقة والبيكوب

نوال: هون البيت والبيكوب

رفقي: ما صبت أتأكد عشان بكرة بدي أبدأ بشروعة حصر الإرث

نوال: فهم عليك يعني هون البيت باسم عدنان بس هون البيت مش بس العدنان انت أخوه وأقرب الناس إلوه وأكيد انت عارف انه الدفعة الأولى اللي اندفعت على البيت كانت من ورثتي من أبوي رحمة الله علي وفوقيهم حطت كل صيغتي اللي نسكرها من شغلي وشغله كنا نسدد أقصات القارد

أحمد: طبعا يا أختي وأكيد في معاكي ورقة بتثبت حستك

نوال: بلى عدنان عمل عقد عند محامي قبل كم من سنة

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي: طب ليش البيت مش باسمك بإذنه

نوال: لأنه القارد باسمه على عقد العمل الشركة اللي بيشتغل فيها أنا ما عندي عقد ما بشتغل بشركة

رفقي: طب ممكن أشوف العقد اللي عمله عدنان

نوال: حلق بجيبه

رفقي: بلى الطريقك جيب دفتر العيلة معك

نوال: ماشي

رفقي :كيف كل يوم يا وان؟ إن شاء الله أحسن	رفقي: "كيف حالك اليوم يا نوال؟ آمل ان تكوني بخير.
نوال: الحمد لله ماشي الحال	نوال: الحمد لله بخير
رفقي: الحمدلله، إذا بتحتاجي أي شي أنا موجود	رفقي: الحمد لله، اذا احتجت الى شيء فانا موجود
نوال: أمي من غلبك ما أنا	نوال: لقد اثقلنا عليك
رفقي: يسامحك لا غلب ولا إشي ,يعني إذا إحنا ما وقفنا مع بعض في هيك ظروف ,هي اللي إحنا وزي ما قلت لك ,أي شي بتحتاجي إنتي أو نورا ,اعتبريني المسؤول عنه	رفقي: لا توجد مشكلة اطلاقا. اذا لم نكن نحن من ندعم بعضنا من سيكون؟ نحن عائلة. كما قلت لك سابقا، كل ما تحتاجينه انتِ ونورا اعتبره مسؤوليتي

UIN IMAM BONJOL PADANG

أحمد: تسلم يا رفقي هاي كلنا عائلتها وإن شاء الله ما حدا بيقسر	أحمد: شكرا يا رفقى، نحن جميعا عائلة وسنساعد بعضنا البعض جميعا
رفقي: الله يرحمك،كنت نفكر نعمل له ختمة أرواحه كل يوم اثنين	رفقي: الله يرحمه، كنت افكر ان اقيم له ختمة ارواحه كل يوم اثنين
نوال: أه، نختمه القرآن كل اثنين مش عارفة شو بدي أعماري ,هيك ويعمود وعلى رأسي فجأة	نوال: أه، نختم القرآن كل يوم اثنين لست اعرف ماذا افعل في حياتي، هكذا وفجأة كل شيء ثقيل على رأسي
أحمد: بكوة الله، الله ما بنسي حدا	أحمد: لا قوة الا بإذن الله، الله لا ينسى احدا
نوال:نسيت أسألكم شو تشربوا ؟	نوال: نسيت ان اسألكم ماذا تشربون؟
أحمد: قهوة	أحمد: قهوة
رفقي: دخلك شفت حدا من شغل عدنان أجي على العزاة	رفقي: بالمناسبة، هل رأيت احدا من عمل عدنان جاء الى العزاء؟
أحمد: والله ما بعرف كثير يجينا أرس ما انتبهت	أحمد: والله لا اعرف، جاءنا كثير ولم انتبه

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي: أنتو بتعرفوا أنو شغله ما كانوا يدفعوا له آخر أربعة أشهر	رفقي: هل تعلم انهم لم يدفعوا له خلال الاربع اشهر الاخيرة؟
نوال: لا مين بيقللك	نوال: لا مين بيقللك
رفقي: عدنان قال لي لأنه فيه أربعة دفعات ,يلا الله بيسيره	رفقي: قال لي عدنان لان هناك اربعة دفعات، حسنا الله يسهل الامر
نوال: دفعات شو؟	نوال: ماذا دفعات ؟
رفقي: والله ما عارف شو بدي أقولك يعني خجلان منك ,بس بالنسبة للبكم فيه آخر أربعة دفعات عدنان ما دفع لي يوم	رفقي: والله لا اعرف ماذا اقول لك، اشعر بالخجل منك، لكن بالنسبة للبيك اب هناك اخر اربعة دفعات لم يدفعها لي عدنان
نوال: والله ما جب لي سيرتهم	نوال: والله ما جب لي سيرتهم
رفقي: والله لو أني مش متطرع على المصاري ما جبت لك سيرتهم بس يعني مخنوق على الآخر وراحي راح تطلع والله عدنان كان معين يدفع لي يوما اليومين	رفقي: لو لم اكن بحاجة الى المال لما ذكرت ذلك، لكنني في وضع مالي صعب وعدني عدنان ان يدفع لي قريبا
نوال: غريب ما حكالي	نوال: غريب لم يخبرني
رفقي: يعني معايا الكيميائات اللي بقتش بتتأكدي	رفقي: لدي سند إذني اذا اردت ان تراه
نوال: لا مش أصدق بس الشغله ما كانوا يدفعوا له هو ما قال لي هاد الحكاية	نوال: لا، ليس ذلك. اقصد، لكن لماذا لم يدفع له صاحب العمل؟ لم يذكر ذلك ابدا.

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي: انتو ما تقبلكوا في هذا الموضوع أنا اليومين بلادي شرع قلبكم منبيحة واخدوا دفعات اللي لا إلي وبعدين منوزع الور	رفقي: لا تقلق بشأن ذلك. سأبحث عن مشترٍ لجمعها قريبا، سنبيعها، سأحصل على مستحقاتي، وسأوزع الباقي على الورثة.
نوال: ما بدي أبيع البيكوب	نوال: لا اريد ان ابيع الشاحنة الصغيرة
رفقي: منقص بدل ما تطبق البيكوب دفعاتي	رفقي: أعتقد أن هذا افضل من ان تدفعي دينه
نوال: ما تقلق مدبر حالي	نوال: لا تقلق، سأدبره
رفقي: بس وانت ليش بديكي البيكوب هون ما تشجعي فيش تسوق عليه يلي بريحك كله علموا بذي ما حصر الارث بس وعدنان شو ترك غير هاي الشقة والبيكوب	رفقي: لماذا تحتاجين الى الاستلام؟ انت لا تعرفين القيادة. افعلي ما ترينه افضل. على اي حال، كل شيء سيكون واضحا بعد وثائق الارث. ولكن ماذا ترك عدنان غير هذه الشقة والسيارة البيك اب؟
نوال: هون البيت والبيكوب	نوال: هذا البيت والسيارة البيك اب
رفقي: ما صبت أتأكد عشان بكرة بدي أبدأ بشروعة حصر الإرث	رفقي: حسنا، انا فقط اريد التأكد لانك ستبدئين إجراءات الارث غدا
نوال: فهم عليك يعني هون البيت باسم عدنان بس هون البيت مش بس العدنان انت أخوه وأقرب الناس إلوه وأكيد انت عارف انه الدفعة الأولى اللي اندفعت على البيت كانت من	نوال: فهمت عليك، هذا البيت باسم عدنان لكنه ليس ملك عدنان فقط. انت اخوه واقرب الناس اليه، وبالتاكيد تعرف ان الدفعة الاولى التي دُفعت للبيت كانت من ورثتي من

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI IMAM BONJOL PADANG

ورثتي من أبوي رحمة الله علي وفوقيهم حطت كل صيغتي اللي نسكرها من شغلي وشغله كنا نسدد أقصات القارد	والدي رحمه الله، وفوق ذلك وضعت كل مدخراتي من عملي ومن عمله لسداد اقساط البطاقة الائتمانية.
أحمد: طبعا يا أختي وأكيد في معاكي ورقة بتثبت حستك	أحمد: بالطبع يا اختي وبالتاكيد معك ورقة تثبت ملكيتك
نوال: بلى عدنان عمل عقد عند محامي قبل كم من سنة	نوال: نعم، قام عدنان بعمل عقد عند محامٍ قبل عدة سنوات
رفقي: طب ليش البيت مش باسمك بإذنه	رفقي: اذا لماذا الشقة ليست باسمك
نوال: لأنه القارد باسمه على عقد العمل الشركة اللي بيشتغل فيها أنا ما عندي عقد ما بشتغل بشركة	نوال: لان البطاقة الائتمانية باسمه حسب عقد العمل في الشركة التي يعمل فيها، انا ليس لدي عقد، لا اعمل في شركة
رفقي: طب ممكن أشوف العقد اللي عمله عدنان ؟	رفقي: اذا، هل يمكنني رؤية العقد الذي عمله عدنان؟
نوال: حلق بجيبه	نوال: ساحضره فورا
رفقي: بلى الطريقك جيب دفتر العيلة معك	رفقي: وارجوك احضر دفتر العائلة
نوال: ماشي	نوال: حسنا

تظهر البيانات اللتي أحد أشكال الظواهر النسوية، والمتمثلة في التمييز والضغط الذي تتعرض له نوال. ففي الدقيقة ٢٣ والثانية ٥٥، طُلب من نوال من قِبل عائلة زوجها أن تسدد ديون زوجها، وأن تقدم ممتلكاتها من سيارة وشقة كتعويض.

UIN IMAM BONJOL PADANG

في الواقع الذي واجهته، بعد وفاة زوجها، اصطدمت نوال بواقع نظام الميراث في الأردن القائم على الفقه الإسلامي، حيث يمتلك الورثة الذكور، مثل شقيق الزوج المتوفى، حقوقا ميراثية أكثر تفوقا مقارنة بالزوجة أو الابنة. وفي هذا السياق، تُهمّشت نوال قانونيا، إذ إن موقعها كامرأة لا يمنحها القوة الكافية للمطالبة بحقها في المنزل الذي تسكن فيه.

يعكس هذا النظام القانوني ما وصفته سبيفاك بالبنية الهيمنية التي لا تفسح المجال لصوت السابألترن. ففي مثل هذا النظام، لا تمتلك المرأة موقعا قويا للتحدث بوصفها فاعلا قانونيا، بل تُمثَّل دائما من خلال قانون صاغه ويديره الرجال. وتشدد سبيفاك على أن السابألترن "لا يمكن أن يتكلم" لأن نظام التمثيل قد كتم صوته مسبقا.

٢. سوبالترن في المعايير الاجتماعية الأبوية

بعد ذلك، في الدقيقة ٣٤، بدت على نوال ملامح تدل على شعورها بالضيق من الضغوط المتتالية التي تتعرض لها.

الصورة ٤. الإعتراض والترهيب.

تعيش نوال في مجتمع يولي اهمية كبيرة للمعايير الابوية حيث يتوقع من المرأة ان تخضع لسلطة الرجل وعندما رفضت تسليم منزلها لشقيق زوجها وُجه اللوم اليها من قبل المحيطين بها واعتُبر موقفها عصيانا وقلة احترام وتشويها لسمعة العائلة.

في هذه الحالة لم تهمّش نوال قانونيا فحسب بل اجتماعيا أيضا إذ اعتُبرت منحرفة لأنها تحدت البنية الجندرية الراسخة فالمعايير الاجتماعية تشكل قوة قمعية

تحدد الكيفية التي ينبغي أن يسمع بها صوت نوال لا بوصفها مدافعة عن حق بل كامرأة "صالحة" يفترض بها الخضوع.

٣. سوبالترن من الناحية الاقتصادية

في الصورة أدناه التي وردت في الدقيقة ٢٩ ، يوجد حوار بين نوال ورفقي على النحو الآتي:

الصورة ٥. ظهور الإكراه الإقتصادي.

رفقي : حكالي أحمد ع العقد، شو نوية تعمليها الساعة؟

نوال : قبل بشوف؟

رفقي : كم بيالات البيكام

نوال : لسه مش عارفة

رفقي : رح نجيب ذهبات تبيعيهم؟

نوال : مش عارفة هلا بتدبر حالي، رح أنزل هون بلاش يروح علي الباص

رفقي : حكالي أحمد ع العقد، شو نوية تعمليها الساعة؟	رفقي: اخبرني احمد عن العقد، ماذا تنوين فعله الان؟

UIN IMAM BONJOL PADANG

نوال : قبل بشوف؟	نوال: بالنسبة لماذا؟
رفقي : كم بيالات البيكام	اقساط سيارة
نوال : لسه مش عارفة	نوال: ما زلت لا اعرف
رفقي : رح نجيب ذهبات تبيعيهم؟	رفقي: هل لديك مجوهرات للبيع؟
نوال : مش عارفة هلا بتدبر حالي, رح أنزل هون بلاش يروح علي الباص	نوال: لا اعرف، سأدبر امري. اريد الخروج من هنا، لا اريد ان افوت الحافلة

في المشهد عند الدقيقة ٢٩.٠٠، تستجوب نوال مرة أخرى من قبل شقيق زوجها حول مسألة استلام السيارة، بل ويُسألها أيضا عن المجوهرات التي تنوي بيعها. هذا الموقف يزيد من ضغطها النفسي، إذ تجبر على رهن مجوهراتها وممتلكاتها الشخصية من أجل سداد ديون زوجها المتوفى.

في الصورة أدناه التي وردت في الدقيقة٧٨ أن نوال قامت ببيع ملابسها وأثاث منزلها لتسديد ديون زوجها المتوفى:

الصورة ٦. بيع الملابس والأثاث

بعد وفاة زوجها لم يكن لدى نوال دخل ثابت فاضطرت للعمل الشاق مع رعاية ابنتها بل واضطرت أيضا إلى رهن مجوهراتها وبعض ممتلكات المنزل من أجل البقاء على قيد الحياة وإنعدام الموارد الاقتصادية جعلها هشّة وعديمة القدرة على التفاوض مما جعل من الصعب عليها المطالبة بحقوقها بشكل متكافئ في الفضاء العام.

بحسب سبيفاك يعد الفقر الاقتصادي من العوامل الاساسية التي تؤدي إلى عدم امتلاك السوبالترن للمجال أو القوة للتعبير عن انفسهم فعندما لا يمتلك الانسان الوصول إلى راس المال سواء كان اقتصاديا أو رمزيا فان صوته لا يكون سوى همسة لا تسمع

ج. أشكال المقاومة السوبالترنية التي يقوم بها المرأة المهمشة في فيلم "إن شاء الله ولد"

١. الكذب كاستراتيجية للبقاء الذاتي

في الصورة أدناه التي وردت في الدقيقة٤٨ أن نوال في البداية كذبت في المحكمة أمام شقيق زوجها

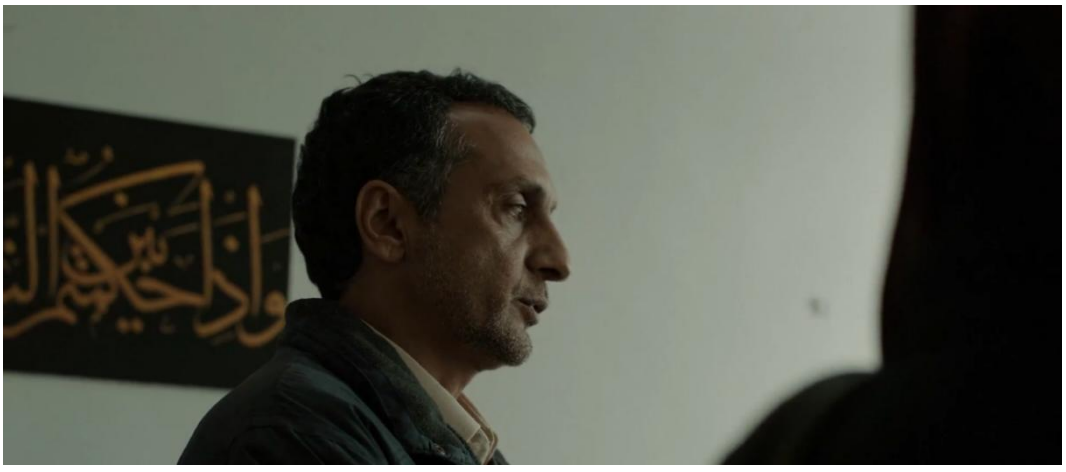

الصورة ٧. دعوى قضائية

القاضي : لورى فيه أمي، زوجته، ابنته، شقيقه، وشقيقتين الأخ هو الممثل العائلة، والعائلة تبارك الله تقيم خارج المملكة

رفقي : الأصول واضحة

القاضي : أحد حاب يضيف أي معلومات؟

نوال : من بين الأوراق اللي قدمتهم لحضرتك فيه عقد البيكب اللي جوزي شرعه من أخوه وبيبين فيهم الأقصات اللي دفعهم

القاضي : مظبوط يا أختي، الأخ رفقي أرفق العقد ولسه ضايل عليكم أربع أقصات فيه حدا من الورثة أنا ما حكيت اسمه؟ بيين على المرحوم أنا ما جيب سيرته؟ ده لا، الأمور واضحة والموضوع رح يمشي بسهولة

نوال : في الحقيقة سيدي، الجوزي اتدين مني ورثة أبوي وشبكتي وحتناهم دفعة أولى على البيت وأنا كنت أدفع من رواتبي لسددنا أقصات البنكز

القاضي : عندك إثبات على هذا الحكي؟ عقد بينك وبين زوجك ورقة من البنك

نوال : لا، ما في

القاضي : إذا ما في، أنا ما بمقدر أثبت هذا الحكي عندي في المحضر حدا فيكم سمع أو شهد الزوجة وهي بتخرج زوجها مصاري؟

رفقي : المرحوم عمره ما جيب سيرته ده الموضوع قدامي

القاضي : قبل المرحوم ما كان عنده مصدر دخل ثاني؟

UIN IMAM BONJOL PADANG

رفقي : سيدي، المرحوم كان مدبر أموره لحاله زلة عمره ما كان أقل من المسؤولية وكان مقصر

القاضي : يا أختي، أهل الزوج المتوفة لهم نصيب من الميراث عصبة في حال الزوج لم ينجب مولود ذكر من زوجته يعني هم المسؤولين أمام الله وأمام الناس على رعاية الزوجة وأولادها

نوال : يا سيدي، أنه مسؤولية بده يبيع البيت ليأخذ نصيبه

القاضي : هو مجبور بنفقة البنت، إذا ما رضي فعلي قضية

في الصورة أدناه التي وردت في الدقيقة٤٩ ، اعترفت نوال بأنها حامل وكذبت على القاضي.

الصورة ٨. الكذب كشكل من أشكال المحاولة

نوال : سيدي، ممكن أحكي معك على انفراد؟

القاضي : استنوني برا إذا سمحتوا لأحد ما أناديكم

القاضي : تفضلي

نوال : سيدي أنا حامل

القاضي : ليش خلتيني أطلعهم برا؟ على العموم، الموضوع كان للمحكمة الشرعية تروح بتعملي فحص حمل تودينهم النتيجة عشان يعملوا لي تصحيح لحصر الإرث ما دام ترجعي لعلم.

في المشهد عند الدقيقة السابعة والأربعين وثانية واحدة، حضرت نوال مع عائلة زوجها الراحل إلى المحكمة الشرعية. وقد تم رفع دعوى ضدها بشأن الميراث الذي تركه زوجها المتوفى. ثم طالبت العائلة منها تسديد بقية ديون زوجها، والتي بقي منها أربع دفعات. في هذا المشهد، قدمت نوال عدة دفوع أمام القاضي، إلا أن محاولاتها لم تنجح. وبعد ذلك، حاولت أن تخدع القاضي وقالت له إنها حامل.

عندما كذبت بشأن حملها، لم يكن ذلك مجرد استراتيجية للبقاء، بل كان رمزا للواقع المرير الذي لا يتيح فيه النظام الاجتماعي والقانوني الأبوي مساحة للنساء مثل نوال للتعبير بصدق وكمال عن ذواتهن. كانت تدرك أنه إذا قالت الحقيقة بأنها ليست حاملا، فإنها ستفقد تلقائيا جميع حقوقها في المنزل والميراث، لأن قانون الميراث المعمول به لا يعترف إلا بالورثة الذكور بوصفهم الورثة الرئيسيين.

في مثل هذا الوضع، يصبح صوت نوال صوتا مجبرا على الانحناء تحت وطأة السلطة. فهي لا تستطيع التعبير عن هويتها وحقيقتها كما هي، لأن البنية الاجتماعية والثقافية لا تعترف إلا بشكل من الأصوات يتماشى مع المنطق السائد، أي منطق القانون الأبوي الذي يضع المرأة في موقع التبعية. فالكذب يصبح الشكل الوحيد الممكن للتواصل، وهو ليس تعبيرا عن الحرية، بل تجليا لحالة الاضطرار والاختناق. ويتماشى هذا مع أطروحة سبيفاك التي تؤكد أن "عندما تتكلم السوبالترن"، فإن أصواتهم

غالبا ما تظهر من خلال وساطة أو تعديل أو حتى تحريف، لأن النظام لا يسمح لأصواتهم أن تُسمع بصورتها الأصلية.

بل إن كذبة نوال تكشف بوضوح كيف أن تمثيل المرأة السوبالترن لا يخضع فقط لسيطرة القوى الخارجية مثل الدولة أو الرجال، بل يتجلى أيضا في كيفية اضطرار المرأة نفسها لاستيعاب ذلك النظام من أجل البقاء. فهي لا تظل صامتة فحسب، بل تُجبر على التحدث بلغة السلطة، بلغة القانون والثقافة التي لا تتقنها تماما، لكنها اللغة التي تحدد مصير هويتها وحياتها. وهذا شكل من أشكال "الإسكات" الخفي، ليس من خلال المنع الصريح، بل من خلال نظام لا يتيح لها بديلا سوى الخضوع.

وهكذا، فإن تجربة نوال تعزز حجة سبيفاك بأن السوبالترن، وخاصة المرأة في ظل البنية الأبوية وما بعد الاستعمار، لا تستطيع أن تتكلم حقا. فهنّ لا يُستمع إليهنّ فقط، بل لا يُسمح لهنّ أيضا بالتعبير عمّا يردن قوله فعلا. وما يتبقى لهنّ هو مجرد إعادة تشكيل أصواتهنّ لتصبح مقبولة لدى النظام، وذلك لا يُعدّ حرية، بل هو شكل من أشكال التسوية المفروضة بسبب الاضطرار

٢. التمثيل الفاشل

قامت نوال بالعديد من الأمور في محاولتها، لكنها ما زالت تفشل. ومن ذلك ما يلي:

UIN IMAM BONJOL PADANG

الصورة ٩. رفض الضمان الاجتماعي

عند الدقيقة٢٨,٣٤ ذهبت نوال إلى مكتب عمل زوجها المتوفى لطلب بيان حول راتبه الأخير وضمانه الاجتماعي، لكنها لم تنجح في الحصول على ذلك، لأن زوجها قد ترك المكتب وانتقل منه منذ أربعة أشهر.

هذا أحد الجهود الأخرى التي قامت بها نوال، حيث ذهبت إلى المستشفى في محاولة للتلاعب بنتيجة حملها.

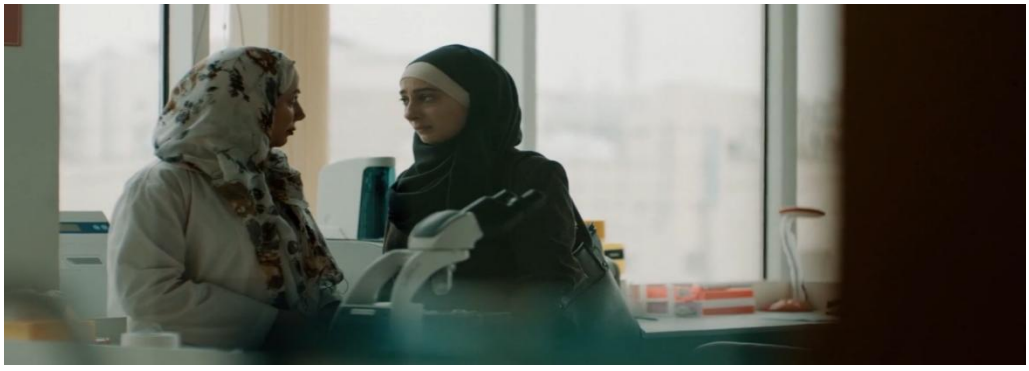

الصورة ١٠. التلاعب كأحد أشكال الأسلوب

في الدقيقة ٥٤,٠٧، ذهبت نوال إلى المستشفى لإجراء اختبار الحمل، وطلبت من الطبيبة مساعدتها في تزوير نتيجة الفحص، لكن الطبيبة رفضت طلبها

من خلال هاتين الظاهرتين، يتّضح جليًا أنّ المؤسسات المختلفة التي كان من المفترض أن تساعد نوال، قد أسهمت في تعزيز الظلم الذي تعرّضت له. فعندما قصدت المكتب الذي كان يعمل فيه زوجها لطلب معلومات عن راتبه وضمانه الاجتماعي، لم تحصل على إجابة مُرضية. وعندما ذهبت إلى المستشفى وطلبت من الطبيبة أن تزوّر نتيجة فحص الحمل حفاظًا على حقوقها، رفضت الطبيبة طلبها. وهكذا، ظلّت جميع الجهات منحازة إلى النظام الذي لا ينصف النساء.

هذا يدل على ان صوت نوال لم يعتبر مهما لقد حاولت ان تتكلم وتشرح وضعها لكن النظام القانوني والاجتماعي والديني القائم لم يمنحها مجالا لكي تسمع حقا وفي نظرية غاياتري سبيفاك يسمى هذا بازمة التمثيل وهي الحالة التي يهمش فيها افراد الفئات المضطهدة المهمشين فلا يتجاهلون فحسب بل لا يمتلكون ايضا وسيلة لنقل اصواتهم بصورة كاملة وهذا يعني ان نوال رغم حديثها لم يكن هناك من يريد ان يستمع اليها لانها لم تعتبر ذات اهمية او اهلية للاستماع.

لأنه لم يكن بإمكان نوال الحصول على الدعم من المؤسسات الرسمية، فإن المكان الوحيد الذي استطاعت أن تشعر فيه بأنها مسموعة كان من خلال علاقتها مع نساء أخريات. على سبيل المثال، الخادمة السورية التي ساعدتها وتعاطفت معها. في هذه العلاقة، لم تتعرض نوال للحكم أو الإدانة، بل حصلت على الدعم والتفهم. هذا النوع من التضامن

شكل فضاء بديلا يمكن فيه لصوت المرأة أن يعيش، حتى وإن لم يعترف به من قبل النظام الرسمي.

هذا التضامن ليس مجرد تعاطف او شعور بالمحبة المتبادلة، بل يعد شكلا من اشكال المقاومة الصغيرة ضد النظام الذي طالما اسكت النساء. وعلى الرغم من ان هذا التضامن لا يغير النظام القائم تغييرا مباشرا، فانه يمنح الامل والقوة. وهذا يدل على انه حتى وان لم تستطع المرأة المهمشة ان تتكلم في ظل النظام السائد، فان بامكانها ان تتبادل الدعم مع نساء اخريات وتجد وسائل للبقاء والصمود.

٣. الصوت المُكمم بواسطة لغة السلطة

لقد قامت نوال بعدة محاولات، وهي: التوجه إلى مكان عمل زوجها، وطلب التلاعب بنتيجة الحمل، وحضور جلسة المحاكمة، ولقاء المحامي لمناقشة المشكلات التي تواجهها.

الصورة ١١. البحث عن معلومات راتب وضمان اجتماعي للزوج

في هذه الحادثة التي وقعت في الدقيقة ٣٨، تم توضيح أن نوال قصدت مكان عمل زوجها المتوفى في محاولة للحصول على معلومات حول راتبه وضمانه الاجتماعي، إلا أن زوجها كان قد ترك العمل هناك منذ أربعة أشهر، وفي النهاية غادرت دون جدوى.

في الصورة أدناه في الدقيقة ٥٢، ذهبت نوال إلى المستشفى لإجراء اختبار حمل.

الصورة ١٢. محاولة إجراء اختبار الحمل في المستشفى

وفقا لطلب القاضي في الجلسة، يظهر في الصورة عند الدقيقة ٥٢ ان نوال قصدت المستشفى لاجراء اختبار الحمل.

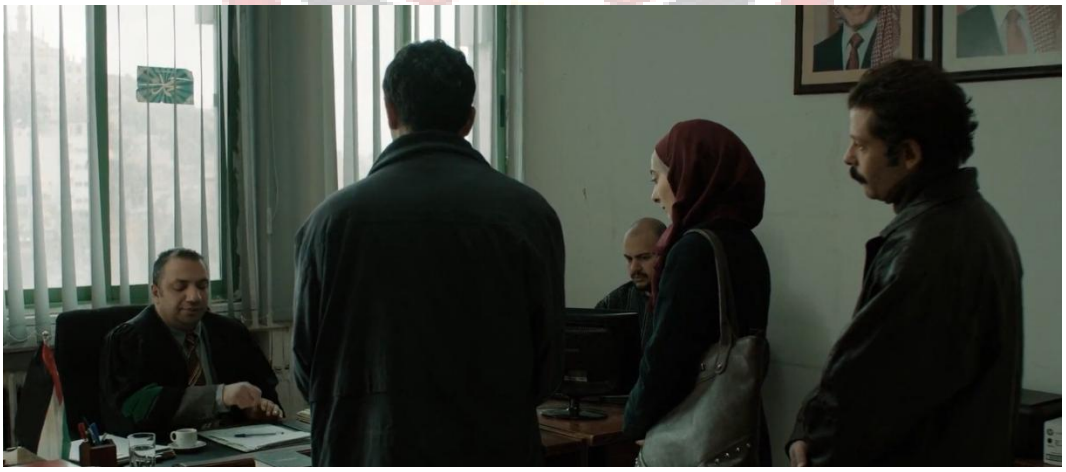

الصورة ١٣. مطالبة أسرة الزوج في المحكمة

في الدقيقة ٤٧ في هذه الصورة، يتضح أن نوال وعائلة زوجها حضروا وتمت مقاضاتهم في المحكمة.

في الدقيقة ٧٧ في هذه الصورة، يتضح أن نوال وعائلة زوجها ذهبوا إلى المحامي.

الصورة ١٤. مراجعة المحامي

في فيلم إن شاء الله ولد، تكررت محاولات نوال لشرح موقفها بشكل شامل وكامل، لكنها باءت بالفشل. لقد سعت للدفاع عن حقوقها من خلال السبل القانونية والدينية والاجتماعية، إلا أن جميع الأبواب التي طرقتها كانت قد شكّلت وهيمنت عليها من قبل السلطة الأبوية. فاللغة القانونية المستعملة لا تتيح مجالا لسردية المرأة مثلها، وكذلك اللغة الدينية التي استخدمت لتبرير سلب الحقوق، كلها صيغها الرجال من مواقع السلطة. ونتيجة لذلك، رغم أن نوال تتكلم، فإن ما تقوله لا يدخل في نظام المعاني المعترف به شرعيا. فهي لم تفشل لأنها لا تستطيع الكلام، بل لأن النظام لا يحتوي على مساحة تمنح للمعنى الذي تحمله.

في هذا الفيلم، يتمثل الحل النهائي للمشكلة في اعلان ان نوال حامل بعد اجرائها فحص الحمل الذي طلبته المحكمة، فلا تتعرض لاي دعوى قضائية حتى انتهاء فترة حملها

في نظر غاياتري شاكرابورتي سبيفاك، فإن هذا يعد تجسيدا ملموسا لكيفية عدم قدرة المهمشين على الكلام. وما تقصده سبيفاك ليس أنهم لا يملكون أفواها أو قدرة على التعبير، بل إن نظام التمثيل مثل اللغة والقانون والخطاب الديني والمعايير الاجتماعية قد

بني بطريقة تجعل أصواتهم لا تعتبر صالحة أبدا. وحتى عندما يحاولون استخدام لغة السلطة، فإن معنى تجاربهم يكون قد انحرف مسبقا.

تؤكد سبيفاك ان اللغة في النظام الاستعماري او الابوي ليست مجرد وسيلة للتواصل بل هي اداة للقمع فاللغة ليست محايدة بل تحمل في طياتها الايديولوجيا والسلطة فعندما يجبر المضطهدون مثل النساء في سياق النظام الابوي على استخدام لغة يحددها اصحاب السلطة كالرجل او الدولة او المؤسسات الدينية فانهم لا يستطيعون فعلا التعبير عن تجاربهم الحقيقية لان هذه اللغة تفرض عليهم الحديث وفق منطق ومعاني النظام القائم لا وفقا لخبراتهم الذاتية ولهذا حتى عندما تقدم نوال حججها امام المحامي او القاضي او الطبيب فانها لا تفهم لان تجربتها الشخصية لا تجد مقابلا لغويا داخل اللغة القانونية والدينية المعتمدة.

بالإضافة إلى ذلك فإن هيمنة الرجال في عملية تفسير القانون والدين تزيد من تفاقم هذا التفاوت فعلى سبيل المثال فإن حق الإرث الذي استخدم لإقصاء نوال مستمد من تفسير للقانون الإسلامي ذي طابع أبوي وشكلي وليس من روح العدالة الاجتماعية الشاملة وفي سياق كهذا لا تقمع النساء اجتماعيا فحسب بل يجرّدن أيضا من حقهن المعرفي في التعبير أي من حقهن في تحديد معنى تجاربهن بأنفسهن.

وهكذا فان صوت نوال لم يقمع فقط بل اعيد تشكيله ليتناسب مع النظام لقد اجبرت على الدخول في اطار من التمثيل لم تصنعه هي ولم يكن في صالحها فهي لا تستطيع ان تكون ذاتا كاملة بل لا يمكنها الكلام الا بقدر ما يسمح به النظام وبشرط الا تخرج عن بنية المعنى التي فرضت مسبقا.

بناء على الدراسة السابقة فإن فيلم ان شاء الله ولد يمثل بشكل قوي فشلا منهجيا في توفير مساحة لصوت السوبالترن يظهر هذا الفيلم انه في نظام يهيمن عليه الخطاب

الذكوري لا تفقد المرأة السلطة الاقتصادية او القانونية فحسب بل تفقد ايضا السلطة لتسمية عالمها الخاص وشرحه.

د. تحليل فيلم إن شاء الله ولد وفقا لنظرية غاياتري سبيفاك

١. أشكال السوبالترن التي تعرّض لها الشخصية

الشخصية الرئيسية نوال تمثل صورة المرأة التابعة كما تفسرها غاياتري تشاكرافورتي سبيفاك وهي الفرد الذي يوجد في موقع مهمش بنيويا داخل النظام الاجتماعي والسياسي والقانوني والمعرفي وان التبعية التي تعيشها نوال متعددة الطبقات حيث يعزز كل مستوى من مستويات القمع المستوى الآخر مما يخلق فخا بنيويا يصعب تفكيكه.

اولا يتجلى التابع القانوني بوضوح في تطبيق نظام الميراث الشرعي في الاردن الذي يمنح الاولوية بشكل صريح للورثة الذكور فبعد وفاة زوجها المفاجئة يمكن نقل حق نوال في المنزل وممتلكات التركة الى شقيق زوجها رفقي لمجرد انها لا تملك ابنا ذكرا فالقانون هنا لا يقتصر على التنظيم بل يصبح اداة لاعادة انتاج السلطة الابوية التي تضع المرأة في موقع ليست فيه مالكة لحقوق كاملة بل مجرد متلقية لحقوق مشروطة وهذه الحالة تضع نوال في موقع قانوني ادنى حيث يجب ان تتم كل خطوة دفاعية ضمن اطار قانوني منحاز جنسيا منذ البداية.

UIN IMAM BONJOL PADANG

ثانيا يتشكل التابع الاجتماعي من البنية الثقافية الابوية التي تقيد حياة المرأة الاردنية فنوال لا يتم تقييمها من خلال ذاتها كفرد فحسب بل يتم قياسها بقدرتها على انجاب ابن ذكر وهو مؤشر للقيمة الاجتماعية يتجاهل الصفات الشخصية والقدرات الاقتصادية والحقوق الاساسية ويؤدي الضغط من الاسرة والمجتمع وحتى المقربين الى تشكيل شبكة اجتماعية تحد من خيارات حياة نوال وتشكل هذه القاعدة الراسخة في الوعي العام رأيا مفاده ان المرأة التي لا تنجب ابنا ذكرا هي طرف ضعيف يحتاج الى الحماية ويمكن بشكل ضمني ان "يتولى" اقاربها الذكور مسؤوليتها.

ثالثا ينبع التابع الاقتصادي من محدودية وصول نوال الى الموارد المالية اذ ادت وفاة زوجها الى فقدانها الركيزة الاقتصادية الاساسية وفي ظل هذه الظروف اضطرت نوال الى بيع اثاث المنزل وممتلكاتها الشخصية لتغطية الاحتياجات العاجلة بما في ذلك دفع تكاليف النقل لمتابعة القضايا القانونية وهذه التبعية الاقتصادية ليست مجرد نتيجة لظروف شخصية بل هي انعكاس لنظام يقيّد المرأة في امتلاك وإدارة الأصول بشكل مستقل.

٢. اشكال صوت التابع المقموع

يتم اسكات صوت نوال في هذا الفيلم عبر آليات متعددة مترابطة مما يوضح تعقيد الطريقة التي يعمل بها النظام الابوي واستعمارية القانون في آن واحد ووفقا لرؤية سبيفاك فإن عبارة التابع لا يستطيع الكلام لا تعني ان التابع أبكم بل لأن بنية الخطاب والتمثيل لا تمنح صوته مساحة ليُقبل باعتباره حقيقة.

اولا الاسكات القانوني ان نظام الميراث المعمول به يقيّد مجال حجج نوال ضمن الجوانب التي يعترف بها القانون فقط فالحجج العاطفية او سرد العدالة الجوهرية او الاعتبارات الاخلاقية لا وزن لها في الاجراءات القانونية وهذا القانون الذي يبدو محايدا شكليا ينحاز فعليا الى جانب الذكور ولذلك حتى وان سُمح لنوال بالكلام فانها تتحدث بلغة يحددها مسبقا الطرف المهيمن.

ثانيا الاسكات الاجتماعي ان الاعراف الثقافية الابوية تجعل المجتمع يعتبر مطالب وشكاوى نوال امورا ‘‘مبالغا فيها’’ او ‘‘مخالفة للفطرة’’ وحتى في حديثها مع اقاربها مثل حسن فإن اعتراضها على الظلم يُنظر اليه على انه عناد او افراط في التفكير بالمشكلة وهذه النظرة تقوض الشرعية الاجتماعية لصوت نوال مما يجعله يبدو كأنه شكوى شخصية بدلا من كونه قضية بنيوية.

UIN IMAM BONJOL PADANG